حول كتاب التحبير «للسمعاني»

الأستاذ مطاع الطرابيشي

أستهلّ كلمتي بإهداء التحية والشكر للأستاذ الفاضل الشيخ حمد الجاسر لمقاله القيّم في مجلة العرب حول كتاب التحبير في المعجم الكبير للإمام السمعاني[1]، ممّا دفعني إلى الاهتمام به وأرجو الله أن يوفقني لمتابعة العمل فيه إنه خير مسؤول.

عُرف للتحبير حتى الآن مخطوطتان: إحداهما في المكتبة الظاهرية بدمشق، والثانية في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول. وقد وصف الأستاذ الجاسر المخطوطة الأولى وصفاً وافياً وتساءل: هل هي كتاب التحبير؟ ذلك لأنها ناقصة من طرفيها. وسأحاول هنا الإجابة على التساؤل الذي طرحه مبتدئاً من حيث انتهى بحثه القيّم.

لقد ذكر المرحوم يوسف العش في فهرس مخطوطات الظاهرية أن الخط في هذه النسخة يشبه خط ضياء الدين المقدسي[2]. وقد قُمت فعلاً بمقابلته مع كتاب آخر في الظاهرية بخط الضياء نفسه[3] فتبيّن أن رسم الأحرف ولون الحبر والإشارات المستعملة في المخطوطتين سواء، ممّا يُشعر بوضوح أن الكاتب واحد، وهذه ترجمته:

هو الحافظ الكبير ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد السعدي

---

(١) مجلة العرب ج ١٠ / س ٦

(٢) فهرس مخطوطات الظاهرية - قسم التاريخ - ص ١٨١

(٣) انظر كتاب «الثالث من الحكايات المقتبسة» للحافظ ضياء الدين المقدسي - مخطوطة الظاهرية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدسي الصالحي الحنبليّ ، محدّث عصره ، وُلد سنة (٥٦٩) وتوفي سنة (٦٤٣) وسمع بمرو من أبي المظفر السمعاني ـ ولد مصنّف التحبير ـ وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، وحصّل أصولاً كثيرة ، وله مجموعات وتخريجات[١] .

أما المخطوطة الثانية المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول فهي نسخة كاملة ، مصوّرة لدى معهد المخطوطات العربية ، في عنوانها بعض الاضطراب وهذه صورته :

كتـــاب

كتاب تواريخ شيوخ أهل الحديث على الحروف المعجمة

كتاب المعجم وهو المنتخب تأليف المولى الشيخ العلاّمة أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني رحمه الله تعالى

وفي رأس الورقة الأولى كُتب بحرف صغير :

المعجم لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني واسمه المنتخب

وتحته بخط كبير :

كتـــاب

كتاب المنتخب

وهو سمعاني تعالى

(ومن حوله آثار كتابة مطموسة)

وهذه المقدّمة[٢]:

بســـم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر ولا تعسّر

« أخبرنا الشيخ الإمام افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد

(١) عن شذرات الذهب ٥/٢٢٤ وأعلام الزركلي .

(٢) في اللوحات : ٢ ، ٣ ، ٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الهاشمي قراءة عليه قال. أخبرنا الإمام تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني إجازةً إن لم يكن سماعاً ، أخبرنا أبو النجم طالب بن علي بن زيد بن شهريار البيع بقراءتي عليه بأصبهان أخبرنا ...[1] عن عمرو بن عُبيدة بن الأسود بن سريع رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني حمدت ربي بمحامد . فقال : إنّ ربّك يحبّ الحمد واستنشده .

فالحمد لله الذي خلق كل زوج بهيج ...[2] عن جابر بن سُمرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم خطبهم فقال : أما بعدُ فإني لما فرغتُ من كتاب العوالي لولدي أبي المظفر رعاه الله في اثنين وثلاثين جزءاً ، وكنت قد جمعتُ معجم شيوخه في ثمانية عشر جزءاً وقع لي أن أجمع لنفسي معجماً لشيوخي الذين سمعت منهم حضراً وسفراً ، وإن كنت قد جمعت فيه مجموعاً كبيراً ورويت عن كل شيخ لقيته حديثاً واحداً أو حكاية أو إنشاداً غير أني أعرضت فيه عن حال الشيوخ ورويت عن كل أحد حسب ماسمعت منه. ولمّا وافيت بلخ في سنة ستّ وأربعين رأيت في الخزانة التي وضعها شيخنا الإمام أبو شجاع عمر بن أبي الحسين البسطامي كتاب المعجم لشيوخ أبي محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبي[3] الحافظ ، فاستحسنته لأنه يذكر شيخه ونسبه وبلده وسيرته وعمّن أخذ العلم وعمّن سمع الحديث ووفاته ويروي له حديثاً أو حديثين . ثم جمع بعد ذلك شيخنا عمر بن أبي الحسن البسطامي ذكره الله بالخير مشيخة لنفسه جمع فيها شيوخه بسؤالي إياه، وقرأت بعضه عليه ببلخ سنة ستّ وأربعين وتمّمت الباقي عليه ببخارا سنة تسع وأربعين . فأردت الاقتداء بهما والاقتفاء لآثارهما لأن الله تعالى جدّه وتوالى جوده قد كان حفياً بي ووليّاً حيث حبّب إليّ الحديث وزيّنه في قلبي ورزقني سماع كل سنّة حسنة ، ووفّقني لشدّ الرحال إلى الترحال حتى رأيت الأفاضل والمشايخ قبل أن تصير الديار منهم بلاقع ، واجتمع عندي من

(١ و ٢) بضعة أسطر تركتها اختصاراً .

(٣) « نسبة إلى نَخْشَب ، وهي بلدة من بلاد ما وراء النهر ، عربت فقيل لها نسف » : الأنساب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مكتوم الفوائد ومختوم الزوائد وفقر المسموعات ونبذ المجموعات ما لا أعلمه اجتمع لواحد من أبناء المشيخة إلاّ من شاء الله من أهل الدهر ، وإذ حصل الإسناد لي بعلوّ ، ولم آمن كون الأجل منّي في دنوّ ، اقتضى الحزم ، تأكيد العزم على تخريج كتب لطاف ، في أنواع وأصناف ، فسمح بها الخاطر ، تحرك بطلبها السرائر فسارت في الأمصار ، وانتشرت بعض الانتشار ، ثم لما أعدت تصفّح ما أعددت أردت أن أجمع شيوخي الذين لقيتهم حضراً وسفراً ورتبت أسماءهم على الحروف المعجمة في أوائل أسمائهم ، ثم عقّبت ذلك بحديث النساء على الحروف أيضاً ، فأذكر الشيخ وأسوق نسبه حسب ماذكر لي وأذكر سيرته وأشرح حاله وأذكر الكتب والأجزاء التي سمعتها منه ، وأذكر أسماء الذين اتصل سماع الكتاب منهم : منّي إلى مصنّفه ، وأذكر شيوخه الذين سمع منهم ، وأروي في ترجمته حديثاً أو حديثين وزيادة إلى العشرة على قدر علوّ سنده ، وحكاية وإنشاداً من أعلى ماوقع إلي منه من المنثورات ، وأذكر الموضع الذي رأيته فيه ، ووقت ولادته ووفاته إن كنت على علم منه ... فاستخرتُ الله تعالى وشرعت في جمعه ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وخمسماية . وقدّم بعض أئمتنا من اسمه محمد في ابتداء مجموعه تبركاً باسم نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وابتدأت أنا بأحمد ... ثم آتي على حرفٍ حرف إلى آخر الحروف وأراعي هذا الترتيب في آباء الشيوخ وأذكر في آخر الترجمة من اشتهر أبوه بالكنية وما عُرف له اسم ... وأسأل الله تعالى أن ينفعني والسامع به فإنّ خير العلم النافع ... وأسأله أن يجعل ما جمعته وسردته لوجهه خالصاً ... »

وفي خاتمة الكتاب مانصّه :

« آخر المنتخب والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، ووافق الفراغ منه على يد أضعف عباد الله أبي بكر بن عبد الكافي ابن عثمان البرلسي المراغي ، في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وأربعين وستماية غفر الله له ولجميع المسلمين آمين . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقارنة بين المخطوطتين :

أولاً : عدد أوراق المنتخب (٢٩٨) ورقة، بينما عدد أوراق نسخة الظاهرية (١٤٦) وورقتان تكررت أرقامها فيصبح المجموع (١٤٨) ورقة ، أي أن المنتخب يعدل ضعفي النسخة الأخرى في عدد الأوراق .

ثانياً : في المنتخب (١٤٢٥) ترجمة : منها (١٣٤٣) شيخاً و (٨٢) شيخة ؛ هذا عدا التراجم الساقطة مع الورقتين الساقطتين من التصوير[١]. أما نسخة الظاهرية فيبلغ عدد تراجمها (١١٦٧) ترجمة : منها (١١٠٠) شيخاً و (٦٧) شيخة[٢].

وإذا حسبنا الفرق بين النسختين فإننا نجده (٢٥٨) ترجمة موزّعة كالآتي : (١١١) ترجمة ساقطة من أول نسخة الظاهرية ، و (١٢) ترجمة ساقطة من آخرها ، و (١٣٥) ترجمة مهملة في أثنائها .

أما السبب في التفاوت الملحوظ بين النسختين فقد كشفت عنه بعض الحواشي المثبتة في نسخة الظاهرية :

أ – جاء في الورقة (١٣٧ ب) بجانب العنوان (من اسمه عُبيدالله) مانصّه : « مايذكر في مشيخة ولده فإني لاأذكره إلاّ أن أنساه فأكتبه . »

ب – في الورقة (٧ ب) عنوان : (من اسمه بدل **وبزيادة الياء أيضاً وهو بديل**) شطب على الجملة الأخيرة وهي مثبتة في المنتخب (لوحة ٥٤ ب) لأنه حذف ترجمتين من أصل ثلاث ؛ ومع المحذوف من اسمه بديل .

ج – ثبت في حواشي بعض الأوراق، في الزاوية اليسرى من أعلى الورقة ، ترقيم صورته كما يلي :

---

(١) سقط من التصوير سهواً كما يبدو الورقتان : ١٤٣ ، ٢١١ وتكررت الورقة ١٩٨ في « الميكروفيلم » .

(٢) في مجلة العرب [ج ١١/س ٦ : ص ٩٠٢] تعداد لتراجم نسخة الظاهرية ، يبدو غير دقيق إذ يقلّ عن هذا العدد بنحو من مائة ترجمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الورقة ٢٨ – رابعة

〃 〃 ٤٠ – خامسة

〃 〃 ١٠٠ – تاسعة

〃 〃 ١١٤ – عاشرة التحبير

〃 〃 ١٤٢ – ثانية عشر التحبير

وقد تبيَّنَ بعد التدقيق وحساب الفرق بين الأرقام المتوالية أن هذا الترقيم يعني المئات من التراجم المنقولة عن التحبير. وإذا كانت (الرابعة) تقابل في التعداد لديّ الرقم (٢٤١) فمعنى ذلك أنّ (٦٠) ترجمة فقط سقطت مع الأوراق المفقودة من أول الكتاب أما البقية إلى المائة وإحدى عشرة ترجمة فقد أهملها الكاتب عمداً.

هذا ولم يكتف الكاتب بذلك بل عمد إلى اختصار آخر؛ فمن عادة المصنّف أن يورد عقب الترجمة (الرواية) حيث يذكر تحت هذا العنوان ما يرويه عن صاحب الترجمة: حديثاً أو خبراً أو شعراً. وقد أسقطها الكاتب تماماً، ويبدو أنه سها مرة فنقل هذا السطر عقب ترجمة اسماعيل بن أحمد العقيقي: «حدثنا إسماعيل بن أحمد على باب دارنا بمرو، حدثنا أبو العباس الفضل بن عبد الواحد الحنفي التاجر، حدثنا أبو البكر الحرشي». وفجأة قطع الكلام واستأنف ترجمة أخرى، وقد وجدت بيان هذا السطر القلق في المنتخب، فإذا هو من نصّ الرواية عقب الترجمة[1]

يُضاف إلى ذلك اختصار الترجمة نفسها، ففي تراجم (من اسمه أسعد) بلغت الترجمة الأولى (١٤) سطراً في المنتخب: سبعة منها للترجمة وسبعة للرواية، بينما هي في نسخة الظاهرية ثلاثة أسطر من الترجمة فحسب.

وخلال ترجمة محمد بن علي البخاري المطهري اختصر الكاتب أسماء الكتب

(١) نسخة الظاهرية: ق ١/ب السطر ١٩ – المنتخب: اللوحة ٣٨/ب السطر ١٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي سردت في ثلاث صفحات في المنتخب ، اختصرها في صفحة واحدة كتب في آخرها « وذكر له مصنفات كثيرة[١] » .

ومن الطريف أن عدوى الاختصار وحذف الرواية انتقلت إلى المنتخب في النصف الثاني منه ، فبينما نجد (٦٠٠) ترجمة في المائة والخمسين ورقة الأولى منه ؛ أي بمعدّل (٢٥) ورقة للمائة من التراجم ، نجد في النصف الثاني (٨٢٥) ترجمة ؛ أي بمعدّل (١٨) ورقة للمائة ، وهذا الرقم قريب من معدل التراجم في أواخر نسخة الظاهرية حيث يبلغ (١٤) ورقة للمائة .

ثالثاً : الحواشي :

نثر كاتب نسخة الظاهرية في هوامش بعض الأوراق تعليقات قيّمة شتّى : فيها استدراك على المصنّف ، أو تنبيه على تشابه مُريب ، أو إشارة إلى معارضة النصّ بكتاب آخر ، أو بيان أن تأريخ بعض الوفيات ليس من كلام السمعاني المصنّف[٢] ، ويبدو أنه كان يعارض ما كتب بمشيخة أبي المظفر السمعاني ولد المصنّف ،ففي الورقة (٣٨ ب) في ترجمة عبد الرحمن بن الحسن الكرماني ، كتب في الحاشية تعليقاً على تاريخ ولادته : « في مشيخة ابنه وسبعين بدل أربعين . »

أما المنتخب فقد خلا من الحواشي المنشورة بهامش نسخة الظاهرية ، غير واحدة فحسب وردت في النسختين معاً تعليقاً على روايته عن أبي حفص مسرور ؛ هذا نصها : « صوابه عن عبد الغافر الفارسي[٣] . »

رابعاً : الوفيات بعد السمعاني :

أضيف إلى النسختين كلتيهما بعض وفيات من توفي بعد المصنّف : من ذلك ماورد في ترجمة مسعود بن محمد المسعودي الخطيب أنه توفي سنة (٥٦٨) ،

(١) نسخة الظاهرية : ق ١٠١

(٢) ورد بعض هذه الحواشي في مقال الأستاذ الجاسر ، وسيرد بعضها الآخر فيما يلي من هذا المقال .

(٣) انظر نسخة الظاهرية : ق ٤ ، والمنتخب : لوحة ٤٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك في ترجمة نصر بن سيّار بن صاعد ذكر أنه توفي سنة (٥٧٢) . على أنها في نسخة الظاهرية مُرفقة بتنبيه في الحاشية حيث كتب : « هذا ليس من قول السمعاني لأنه توفي قبل هذا . » ، بينما أُهمل ذلك في المنتخب[١] .

ولا بد لنا – بعد أن فرغنا من المقارنة بين النسختين – من جولة خارجية في المصادر الأخرى التي تلقي ضوءاً على كتابنا هذا :

١ً – نقل صاحب طبقات الشافعية في ترجمة أبي سعد السمعاني أن عدد شيوخه سبعة آلاف ، وأن التحبير ثلاثمائة طاقة ، ثم أضاف أن الأنساب ثلاثمائة وخمسون طاقة[٢] . وإذاً فالتحبير يعدل ستة أسباع الأنساب ، وهذا مالم تبلغه أيٌّ من النسختين ، بل ولم تُقاربه .

٢ً – لقد كان التحبير عمدة الباحثين من بعد السمعاني : نقل عنه ياقوت (٦٢٦ هـ) في معجم البلدان ، واستوعبه ابن باطيش من بعده (٦٥٥ هـ)[٣] ، والسبكيّ (٧٧١ هـ) في طبقاته .

ومع أن ياقوتاً أكثرَ من النقل عن تحبير السمعاني حتى ليكاد يستوعبه ، فإنه لايصرح باسمه كثيراً ويكتفي بالقول : ذكره السمعاني – ذكره السمعاني في شيوخه – كتب عنه أبو سعد – أجاز لأبي السعد السمعاني – قال السمعاني : كتبتُ عنه – ونادراً ما يصرّح باسم التحبير[٤] .

وكذلك فعل تاج الدين عبدالوهاب السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، حيث نقل عن التحبير في مواضع كثيرة من الطبقة الخامسة[٥] .

وقد قمت بتتبع المواضع التي نقل فيها الرجلان عن التحبير فتبيّن لي أن

---

(١) انظر نسخة الظاهرية : ق ١٢٣ ، ١٣١ ؛ والمنتخب : ٢٦٢ ، ٢٧٥

(٢) طبقات الشافعية : ٤/٢٥٩

(٣) طبقات الشافعية : ٤/٢١٨ و ٥/٥١

(٤) من ذلك ماورد في معجم البلدان ؛ في موادّ : آخُر ، بردسير ، حاني ، سِمْنان.

(٥) انظر الجزء الرابع من طبقات الشافعية الكبرى (ط . الحسينية ١٣٢٤ هـ).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تراجم مما نقلاه موجودة في المنتخب وغير موجودة في نسخة الظاهرية [١] ، وأن هناك تراجم نقلها ياقوت عن التحبير لم تذكر في كلتا النسختين [٢] .

النتائج المستخلصة : نخلص مما سبق إلى النتائج التالية :

أ - مخطوطة الظاهرية هي تهذيب للتحبير بخط الضياء المقدسي وتعليقه ، ويبدو أنه كان يملك نسخة من مشيخة أبي المظفر السمعاني ولد المصنّف إذ هو شيخه ، لذلك أضرب عن كتابة ماذكر في مشيخة الابن .

ب - مخطوطة مكتبة أحمد الثالث هي منتخب من التحبير ، كما ذكر في عنوانها .

وإذن فالنسخة الكاملة من التحبير لازالت مجهولة ولعلّ البحث يكشف عنها قريباً بإذن الله .

ج - نسخة الظاهرية أقدم من المنتخب ببضع سنوات ؛ إذ يرجع تاريخها إلى ماقبل سنة (٦٤٣) ، أما المنتخب فقد كُتب سنة (٦٤٧) .

د - نقل كاتبا المخطوطتين عن أصل واحد فيما يبدو ، بدليل وفيات مَن مات بعد السمعاني ، والتصويب الموّحد في حاشية النسختين .

هـ - التحبير هو الصورة النهائية لمعجم الشيوخ الشامل شيوخ المصنّف وولده معاً ؛ فقد بدأ المصنّف بمشيخة ابنه ، وثنّى بمشيخته هو فانتهى إلى التحبير في المعجم الكبير .

* * *

وأخيراً فقد عنّت لي خلال البحث بعض الملاحظات رأيت تسجيلها هنا إتماماً للفائدة :

---

(١) من ذلك ترجمة خزيمة بن علي (معجم البلدان : آخر - المنتخب ١٠٣) . إبراهيم بن محمد المروروذي (السبكي ١٩٩/٤ - المنتخب ٣٤) . العباس بن محمد المعروف بعباسة (السبكي ٢١٩/٣ - المنتخب ١٨٦) .

(٢) من ذلك ترجمة عبد الرزاق بن علي البردسيري ، وعبد الصمد بن عبد الرحمن الحنوي ، وعنان بن مردك الترسخي ، وكرم بن بقاء الجلولقيني ، ومحمد بن عبد الملك الجوسقاني ، وزيد بن صالح الرازاني : انظر معجم البلدان : بردسير ، حاني ، ترسخ ، جلولقين ، جوسقان ، رازان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ً - ذكر صاحب كشف الظنون معجم الطبراني ، وبيّن أن المعجم الكبير في أسماء الصحابة ، والمعجم الأوسط في غرائب شيوخه ، والمعجم الصغير في أسماء شيوخه . ثم عقّب بذكر التحبير في المعجم الكبير لأبي سعد السمعاني مع أن التحبير ليس في أسماء الصحابة بل في شيوخ السمعاني نفسه .

وهذا ماأوهم الأستاذ فؤاد سزكين فذكر المعجم الكبير في أسماء الصحابة ثم أتبعه بالتحبير على أنه تنقيح لهذا المعجم[١] دون تحقيق في هذه المسألة .

٢ً - ورد في مقال الأستاذ الجاسر ، في سياق الترجمة التي أوردها عن أبي علي الحداد الأصبهانيّ بعض الأخطاء المطبعية أو الناجمة عن التصوير ، أستأذن في تصويبها وله الفضل أولاً وأخيراً :

الصفحة ٧٥٩ / السطر ٧ ورد اسم الشيخ محمد بن عبد الله بن ريده الضبّي ، وتكرّر بعد ذلك بصورة رندة ، والصواب ريذة ، بالياء والذال المعجمة[٢].

ص ٧٦١ / س ٤ : كتاب لشاب القراءة خلف الإمام – الصواب : إثبات القراءة .

ص ٧٦١ / س ٥ : كتاب التشهد بطرقه وأخباره – الصواب : بطرقه واختلافه .

ص ٧٦١/س ١٩ : الطبرني عن دنرى – الصواب : الطبراني عن الديري.

ص ٧٦٢/س ١٥ : تاريخ الرقة – الصواب : تاريخ الرقتين[٣] .

ص ٧٦٣/س٢ : لاسماعيل بن أحمد الضرير بن مروان عن المصنّف – الصواب : بروايته عن المصنّف .

دمشق **مطاع الطرابيشي**

---

(١) تاريخ التراث العربي ٤٨٦

(٢) عن معجم الطبراني مخطوطة الظاهرية ، وانظر المشتبه للذهبي ١/٣٣٢ وتبصير المنتبه ٢/٦١٧

(٣) فهرس مخطوطات الظاهرية – قسم التاريخ : ص ١٣٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net